الدرس العشرون :

ليلة خير من ألف شهر

قال رسول الله ﷺ ، في أول شهر رمضان : « **إنَّ هذا الشهر قد حضركم ، فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر ، من حُرِم خيرها فقد حُرم الخير كله ، ولا يُحرم خيرها إلا محروم** »[1](صدق رسول الله) .

ليلة خير من ثلاثة وثمانين عامًا :

من فضائل هذا الشهر : أنَّ الله سبحانه وتعالى خصَّه بهذه الليلة الكريمة ، ليلة القدر ، ليلة هي خيرٌ من ألف شهر ، أي هي أفضل من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر . . . العبادة والطاعة فيها أفضل من الطاعة والعبادة في ألف شهر ليست فيها هذه الليلة ، وألف شهر ليست بالزمن القصير ، ولا بالشيء الهيِّن ، ألف شهر : ثلاثة وثمانون عامًا وأربعة أشهر ، ليلة واحدة يستطيع الإنسان أن يكسب فيها عمرًا مديدًا طويلاً ، هو ثلاثة وثمانون عامًا .

إنَّ الناس يعتبرون من عُمِّر إلى الثمانين فقد عُمِّر وعاش عمرًا طويلاً ، فقد قال الشاعر زهير بن أبي سلمى :

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومَن يعش ثمانينَ حولاً لا أبا لـه يسأمِ

ويقول آخر :

إنَّ الثمانين ، وبُلِّغتَها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

---

(١) رواه ابن ماجه في الصيام (١٦٤٤) ، والطبراني في الأوسط (١٤٤٤) ، مختصراً ، عن أنس ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٠٠٠) وفي إسناد عمران بن داود مختلف فيه ، ومشّاه الإمام أحمد ، ووثقه العجلي ، وذكره ابن حبان في (الثقات) وباقي رجال الإسناد ثقات ، كما في (الزوائد) للبوصيري . انظر : المنتقى (٥١٩) .

فرصة محدّدة مواتية :

فهذه ثلاثة وثمانون عامًا وأربعة أشهر . . . عمر مديد يستطيع الإنسان أن يكسبه في ليلة واحدة يقومها لله عز وجل ، يتعبَّد له ، يذكره ويشكره ويحسن عبادته ويتضرَّع إليه ، ويقف على بابه خاشعًا ضارعًا ، تائبًا منيبًا ، داعيًا ، قائلاً ما قال أبوه وأمه ، آدم وزوجه من قبل : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف:٢٣). لهذا قال النبي ﷺ : « إنَّ مَن حُرم خير هذه الليلة فقد حُرم الخير كله ، ولا يُحرم خيرها إلا محروم » ، لا يُحرم خيرها إلا شقي ، حُرم من رحمة الله عز وجل ؛ لأنه ضيَّع الفرصة وهي مواتية له ، وهي أمامه ، وهي بين يديه ، فرصة مُحدَّدة في شهر واحد ، بل في العشر الأواخر من هذا الشهر ، مُحدَّدة في أنها تلتمس في العشر الأواخر من رمضان ، كما قال النبي ﷺ : « التمسوها في العشر الأواخر من رمضان »[1]، « من كان مُتحرِّيًا ليلة القدر فلْيتحرَّها في العشر الأواخر من رمضان »[2].

عشر ليال فقط ، يقومها الإنسان لربه ، يُغفر له فيها ما تقدَّم من ذنبه ، كما جاء في الحديث الصحيح : « مَن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه ، ومَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه »[3].

فرص الكسب والربح :

أيُّ مكسب ، وأيُّ ربح أن يخرج الإنسان في ليلة واحدة مغفور الذنوب ، مُكفَّر السيئات ، طاهرًا مُطهَّرًا كيوم ولدته أمه ، أن يولد ميلادًا جديدًا ، بليلة واحدة يقومها لله عز وجل ، أو بعشر ليال أو بتسع ليال !

---

(١) رواه البخاري في صلاة التراويح (٢٠٢١) ، وأحمد (٢٣٥٢) ، وأبو داود في الصلاة (١٣٨١) ، عن ابن عباس .

(٢) رواه البخاري في أبواب التهجد (١١٥٦) ، والطبراني في الأوسط (٧٢٠٤) ، عن ابن عمر .

(٣) سيأتي تخريجه وشرحه صـ ٢٠٦ .

هل كثير على الإنسان أن يتعب بعض الليالي لربه ، ليال عشر ، أو تسع إذا كان رمضان تسعًا وعشرين . . . وكثيرًا ما يكون تسعة وعشرين يومًا . . . أي صعوبة في هذا ؟

إن فرص المغفرة والرحمة ، وأبواب القبول والرضوان مُفتَّحة أمامنا ، ولكننا لا نلجها ، ولكننا لا نجد العزيمة التي تدفعنا إلى عمل الخير وخير العمل .

« إنَّ هذا الشهر قد حضركم ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، مَن حُرم خيرها فقد حُرم الخير كله ، ولا يُحرم خيرها إلا محروم » .

هذه هي ليلة القدر التي : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ (القدر:٤،٥).

ليلة رحمة ، وليلة سلام ، وليلة خير ، وليلة بركة ، وليلة مضاعفة للأجر وللحسنات .

بماذا شرَّف الله هذه الليلة ؟

هذه هي الليلة التي شرَّفها الله وكرَّمها ، وإنما شرَّفها وكرَّمها لأنه أنزل فيها أعظم كتاب ، أنزل فيها الكتاب الخالد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أنزل فيها القرآن ، قانون السماء لهداية الأرض ، ودستور الخالق لإصلاح الخلق .

الكتاب الذي مَن علم علْمه سبق ، ومَن قال به صَدَق ، ومَن حكم به عدل ، ومَن عمِل به أجر ، ومَن دعا إليه هُديَ إلى صراط مستقيم .

شرَّف الله هذه الليلة بفضل القرآن الكريم : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ (القدر:١) ، كما شرَّف الشهر كله (رمضان) لأنه أنزل فيه ﴿ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة:١٨٥).

موقفنا من القرآن الكريم :

إن هذا يدفعنا إلى أن نُراجع أنفسنا من هذا الكتاب . . . من كتاب الله . . . من القرآن العظيم ، القرآن المجيد .

إن الله فضل هذا الشهر (رمضان) بسبب القرآن ، وفضل هذه الليلة (ليلة القدر) بسبب القرآن . . . فماذا يكون موقفنا نحن إذا هجرنا القرآن؟ وأعرضنا عن القرآن؟ كيف نقف بين يدي الله؟ وكيف نُخاصم رسول الله؟ حينما يقول : ﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٣٠).

علينا أن ننتفع بالقرآن العظيم ، علينا أن نرجع إلى القرآن الكريم ، علينا أن نأخذ عبرة من ليلة القدر ، ومن شهر رمضان ، لنراجع أنفسنا وموقفنا من كتاب الله .

أعمال الخير المطلوبة من المؤمن في هذه الليلة :

إن الله سبحانه وتعالى أعطانا هذه الليلة ، أعطاها كرامة لهذه الأمة ، ليلة القدر . . . لندعو ونتضرع إليه ، ونتعبد له ، ونقوم بذكره وشكره وحُسن عبادته ، ولا نُضيِّع هذه الليلة في اللهو والعبث وفارغ الكلام ، بل نقوم هذه الليلة في الصلاة والذكر والتسبيح والتهليل وتلاوة القرآن وعمل الخير ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

خير ما يطلب المسلم العفو والعافية :

ندعو الله بكل ما تتمناه قلوبنا . . . قالت عائشة : إذا صادفت ليلة القدر وعلمت أي ليلة هي يا رسول الله . . . ماذا أقول؟ قال : « قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنِّي »[1]، خير ما يطلب المسلم العفو والعافية ... كما كان يسأل النبي ﷺ ربه : « العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة »[2].

وكان أكثر ما يدعو : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة: ٢٠١).

---

(١) رواه أحمد (٢٥٣٨٤)، وقال مخرِّجوه : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين ، والترمذي في الدعوات (٣٥١٣) ، وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٥٠) ، عن عائشة ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٨٩).

(٢) رواه أحمد (٤٧٨٥)، وقال مخرِّجوه : إسناده صحيح رجاله ثقات ، وأبو داود في الأدب (٥٠٧٤)، وابن ماجه في الدعاء (٢٨٧١)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣١٢١).

الحكمة من إخفاء هذه الليلة :

ليلة واحدة هي خير من ألف شهر ، لا ينبغي أن يضيِّعها المسلم ، إن الله سبحانه وتعالى أخفى عنا هذه الليلة لحكمة أرادها ، كما أخفى عنا اسمه الأعظم بين أسمائه الحسنى ، لندعوه بأسمائه كلها : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف:١٨٠)، وكما أخفى عنا ساعة الإجابة ، في يوم الجمعة لنحرص على الدعاء في اليوم كله ، وهكذا أخفى عنا هذه الليلة ، لنحرص في رمضان على الطاعة ، ونحرص أكثر وأكثر في العشر الأواخر من رمضان ، عسى أن يتقبل الله تعالى منا ، ولهذا كان ﷺ ، إذا دخل العشر الأواخر من رمضان ، شدَّ مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله[1].

منهج النبيِّ في العبادة العشر الأواخر من رمضان :

أحيا ليله كله بالطاعة ، وأيقظ له أهله ، أيقظ زوجاته ، ليأخذن بحظِّهن من الطاعة والعبادة ، في هذه الليالي الأخيرة التي هي مسك الختام . . . لهذا الشهر المبارك العظيم .

كان ﷺ ، يعتكف في العشر الأواخر من رمضان . . . حتى لحق بالرفيق الأعلى ، وكانت زوجاته يعتكفن من بعده[2].

وهكذا ظلَّ الاعتكاف سُنة في رمضان عامة ، وفي العشر الأواخر منه خاصَّة .

والاعتكاف : الانقطاع عن الناس لله عز وجل ، فترة من الزمن . وهي سُنة ، قلَّ من الناس مَن يحييها .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في فضل ليلة القدر (٢٠٢٤)، ومسلم في الاعتكاف (١١٧٤)، كما رواه أحمد (٢٤١٣١)، وأبو داود في الصلاة (١٣٧٦)، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار (١٦٣٩)، وابن ماجه في الصيام (١٧٦٨)، عن عائشة .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الاعتكاف (٢٠٢٦) ، ومسلم في الاعتكاف (١١٧٢) ، كما رواه أحمد (٢٤٢٣٣) ، وأبو داود في الصوم (٢٤٦٢) ، عن عائشة .

مدلول كلمة « إحياء الليل » :

أيها الأخوة المسلمون : هذه هي ليلة القدر فاحرصوا عليها ، وتحرُّوا أن تقوموها ، وأن تُحيوها ، إحياء الليل . انظروا إلى هذه العبارة :(إحياء ليلة القدر) ، كأن الليلة التي لا طاعة فيها ولا عبادة . . . ليلة ميتة ، الزمان الذي لا يُملأ ولا يَعْمُر بطاعة الله زمان ميت . . . زمان خرب . . . فاعمُر زمانك ، واعمُر أيامك وأحيها بطاعة الله . . . يُحيي الله قلبك يوم تموت القلوب .

نسأل الله عز وجل أن يجعل لنا حظا من هذه الليلة ، وأن يكتبنا فيها من المغفور لهم ، وأن يجعل حظنا من هذا الشهر الكريم القبول والرحمة والمغفرة والعتق من النار ، إنه سميع قريب ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه .

* * *